

أثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين



بشار عواد معروف

لا مرء في ان الباحث حينما يريد تتبع اثر علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين ، لابد له ان يتتبع بدقة وامعان تطور هذين العلمين ، مبينا العلاقة التي لازمت كلا منهما ، واثرها - سلبا أو ايجابا - في تطور العلم الاخر . وهذا الامر يحتم على الدارس ان يلقي نظرة عجيلى على منشأ علم التاريخ عند المسلمين ، وعلاقته من هذا الوجه بالحديث النبوي ، ومن ثم تبين تطور الفكرة التاريخية عند المؤرخين الاوائل ، ودراسة اساليبهم في الكتابة التاريخية ، وفحوى كتبهم في هذا العلم ، والعوامل التي دفعتهم الى الكتابة بالشكل الذى وضعوا فيه مدوناتهم .

ولا يشك الباحث لحظة في ان معرفة الغاية من كتابة التاريخ عند المسلمين ، ودراسة الاتجاهات المختلفة في الكتابات التاريخية في مختلف العصور ، ستأخذ بايدينا نحو الفهم الصحيح لمعنى التاريخ عند المسلمين ومن ثم اثر علم الحديث فيه .

ولسنا هنا بحال يسمح لنا بدراسة الجذور التاريخية لعلم التاريخ عند المسلمين ، ولا سيما ما يتعلق بالعصر الجاهلى ، ويمكننا في مثل هذا المجال ان نحيل القارئ الى بعض البحوث الحديثة في هذا الباب (١) . على ان الامر الذي يبدو أكثر أهمية هو تبين العوامل التي دفعت المسلمين الى الاهتمام بالتاريخ من جهة ، وتتبع الاساليب التاريخية التي سادت عصر صدر الاسلام ، وتطورها فيما بعد من جهة أخرى . ونحن حينما نستطيع تتبع هذه الدوافع ، ونبين ما انقرض منها ، وما استمر ، سنستطيع ان نعطي احكاما أكثر دقة ، وربما اقرب الى الواقع .

عوامل اهتمام المسلمين بالتاريخ :

١ - ان فكرة توالي الانبياء وان محمداً (ص) خاتم النبيين ، وهي الفكرة التي جاء بها الاسلام ، دفعت الكثير من العلماء المسلمين الى الاهتمام بدراسة هذا التسلسل التاريخي ، ومن ثم دفعهم هذا الامر الى دراسة التاريخ منذ الخليفة (المبتدأ) ، واعتمدوا في ذلك كثيرا على كتب الديانات السماوية . وبرز في هذا الميدان عالم عظيم لعب دورا مهما هو وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠ هـ (٢) ، كما برزت أسماء آخرين مثل كعب الاحبار ،

ومحمد بن كعب القرظي (*) وغيرهما .

على ان الذي يلاحظ في هذه الكتابات انها كانت مقتصرة على عصر ما قبل الاسلام من جهة ، ثم انها لم تعد تظهر الا في مقدمة كتب الحوليات كتاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري ، والمنتظم في تاريخ الملوك والامم لابن الجوزي ، والكامل في التاريخ لابن الاثير والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها ، يتناولها كتاب الحوليات هؤلاء الواحد عن الآخر ، ولذا فان أهميتها قلت ولم تعد ذات أثر بالغ في تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين .

٢- وجاء القرآن بكثير من القصص واخبار الانبياء ، توسع في بعضها ، وأشار اشارات عابرة الى البعض الآخر ؛ فكان لا بد ان يتجه المسلمون نحو تقديم معلومات أوسع عن هذا القصص ، ويكونوا من الاشارات التي جاء بها القرآن عن الانبياء سيرا طويلة (٣) ، اعتبرت حينما جزء من تفسير القرآن ، ومادة للسمر حينما آخر . على ان هذه المادة التي يصعب ان نطلق عليها «مادة تاريخية» ظلت تنتقل في كتب التفسير ، وقلما انتقلت الى كتب التاريخ اللهم الا كتب الحوليات ، وبعض الكتب الاخرى ، باعتبارها مادة مكمله للقسم الخاص بما قبل الاسلام ، وكان المسلمون يضطرون الى قبول بعض الروايات ، في موضوعات خاصة ليس في ذكرها وتدوينها ضرر كبير ، حينما لا يجدون الا هذه المادة التاريخية . ومن هنا ارتضوا لانفسهم ان يأخذوا عن بعض الاشخاص التفسير في الوقت الذي لم يأخذوا عنهم الحديث ؛ فتكلم يحيى القطان مثلا عن جوير بن سعيد البلخي ، ومحمد بن السائب الكلبي ، والضحاك بن مزاحم وهم تلامذة سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ هـ (٤) وقال : « هؤلاء لا يحمل حديثهم ، ويكتب التفسير عنهم (٥) » . ولا مراء في أن هذا النقد لم يكن متأتيا عن « اختصاص » هؤلاء الاشخاص في التفسير ، وعدم معرفتهم برواية الحديث ، لكن للحديث أهميته في التشريع ، وليس في تفسير بعض ما ورد في القرآن من اشارات عن « اساطير الاولين » ، أو الخليفة مما يدخل في الحياة الاسلامية بصورة حادة . وقد عبر عن ذلك المؤرخ المحدث المفسر عماد الدين ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ في مقدمة كتابه « البداية والنهاية » فقال : « ... ولسنا نذكر من الاسرائيليات الا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب ، مما فيه بسط لمختصر عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد به شرعا مما لا فائدة في تعيينه لنا ، فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج اليه والاعتماد عليه . وانما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما صح نقله أو حسن ، وما كان فيه ضعف نبينه » (٦) . ومع ان ابن كثير قد تكلم على الخليفة والمستقبل وضمن كثيرا من هذه الاخبار كتابه كخلق العرش والكرسي والسموات ، والأرضين وما فيهن وما بينهن من الملائكة والجان والشیاطين ، وكيفية خلق آدم عليه السلام ، وقصص النبيين ، وما جرى

مجرى ذلك الى أيام بني اسرائيل وأيام الجاهلية وغير ذلك (٧) ، لكنه اشتكى من كثرة ما أورد الذين كتبوا من قبله عن هذا الموضوع فقال : « وقد قص الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خبر ما مضى من خلق المخلوقات ، وذكر الامم الماضية ، وكيف فعل بأوليائه ، وماذا حل بأعدائه . وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته بيانا شافيا ، سنورد عند كل فصل ما وصل إلينا عنه ، صلوات الله وسلامه عليه . . . وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا ، ولسنا نحذر حنوهم ، ولا ننحو نحوهم ، ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الاختصار . ونبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا ، وما خالفه فوق فيه الافكار . » (٨)

ومن هنا يلاحظ أيضا ان هذه المادة نفسها كانت تتكون من الاحاديث النبوية ، ولا يهمننا في هذا المضمار سواء كانت هذه الاحاديث من الاحاديث الصحيحة أو الموضوعية ، وغالبها كذلك بالطبع ؛ اذ ان المهم هو انها كانت الاساس الذي قام عليه التفسير في مثل هذا المجال ، كما كانت الاساس الذي قامت عليه كتب « المبتدأ » والتي دخلت كقسم أول في كتب الحوليات .

٣ - وقد لقيت أحاديث الرسول (ص) اهتماما بالغاً عند العلماء المسلمين نظرا لدخولها في التشريع ؛ فاهتموا بها ، وتدارسوها ، ورتبوها بأشكال مختلفة حسب الحاجات ، وتفكير الأشخاص . ووضعوا لها علوما اعتبرت بحق أعظم ما انتج الفكر الاسلامي . وهي الى جانب كونها ذات الاثر البين في تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين ، تكون بحد ذاتها مادة تاريخية واسعة عن القرن الاول الهجري خاصة . وسنتطرق فيما يأتي من مباحث عن هذا الامر بتفصيل اذ ان مدار بحثنا مركّز عليه بالدرجة الاولى .

٤ - ولما توفي الرسول (ص) وجاء الخلفاء الراشدون الى الحكم اهتم المسلمون بأعمالهم ، وتنظيماتهم ، يدفعهم الى ذلك المركز العظيم الذي تمتع به هؤلاء الخلفاء الاجلاء ، واعتبارهم المثل الاعلى للخلق القويم والسيرة الصالحة ، ومن ثم اعتبر الكثير من الفقهاء - فيما بعد - ان اعمال الخلفاء الراشدين تأتي بعد أعمال النبي ، كما اهتموا بأقوالهم واحاديثهم ، بله أقوال واحاديث الصحابة أجمعين ، نظرا لاعتماد الكثير من المسلمين عليها في التشريع ، ولا يشك المرء لحظة في ذلك عند دراسته لكتب اصول الفقه (٩) والكتب التاريخية التي تعنى بالامور الفقهية والاخلاقية والاقتصادية .

٥ - وكانت الفتوح الاسلامية مادة طيبة لتدوين التاريخ ؛ فهي ذات أهمية في تقرير احوال الشعوب المفتوحة تبعا لنوع الفتح ، كما انها تقرر نوع المعاهدات والاتفاقات التي عقدت بين العرب الفاتحين وسكان البلاد المفتوحة ، وأخيرا فانها تكون جزءا من المادة « الفقهية » التي يترتب عليها الكثير من أمور التشريع ؛ فمن ذلك آداب الحرب ، وما يعامل به غير المحاربين من النساء والاطفال والعجزة والرهبان ، وتوسّعت بذلك البحوث التي

تتناول العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول . كذلك تنظيم أمور الخراج والجزية والعشور وما إلى ذلك من الأمور . ولذلك لاحظنا تأليف كتب كثيرة في هذا الموضوع لعل أشهرها كتب علي بن محمد المدائني « ت ٢٢٥ هـ » وكتاب يحيى بن جابر البلاذري « ت ٢٧٩ هـ » « فتوح البلدان » الذي رتبته على الأقاليم ، تناول في كل منها : فتحه ، ونوع الفتح ، وما عمل الفاتحون به .

٦ - وقامت تنظيمات الدولة الإسلامية في القرن الأول الهجري على أساس التنظيمات القبلية ، (١٠) بغض النظر عن التعديلات أو التبديلات التي أدخلت زمن الخلفاء الراشدين ، وخاصة أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، على هذه القبائل من حيث تقسيماتها وأعدادها ؛ فكان العطاء (الرواتب) يوزع على أساس القبائل حيث يعطى عطاء القبيلة إلى رئيسها ويوزع بعد ذلك على أفرادها ، ولذلك قسمت المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري على أساس القبائل أيضا . وكان العطاء وتنظيماته تعتمد على أمور مختلفة ، على أن أهمها السبق في الإسلام ، وهو أمر يرتبط أيضا بالقبائل بشكل واسع ، إذ غالبا ما كان اسلام القبائل عاما ، أي أن معظم القبيلة ، أو العشيرة ، تسلم مرة واحدة وذلك عندما يدخل شيخها في الإسلام . كما أخذت القرابة من الرسول (ص) بنظر الاعتبار ، وكذلك الخدمات التي قدمتها القبائل أو العشائر أو الأفراد للإسلام . ومن هنا كان أن ظهرت الكتب التي تهتم بهذه الأمور ، وغالبا ما ظهرت على شكل كتب « انساب » . ولعل خير ما يصور هذا الأمر هو كتاب « النسب الكبير » لابن الكلبي ، الذي اعتمد عليه الكتاب الذين وضعوا كتباً في هذا المضمار مثل محمد بن حبيب السكري ، وابن حزم ، والسمعاني وغيرهم .

٧ - ولما كان تنظيم الدولة قد قام على أساس قبلي ، ونظمت المجتمعات الإسلامية على أساسها ، لذلك انبرى كتاب القبائل إلى تأليف الكتب والرسائل التي تظهر أمجاد قبائلهم ومفاسخها ، ومكانتها في الجاهلية ، وفي الإسلام بصورة خاصة ، ويبدو ذلك واضحا في الكتب التي ألفها مصعب الزبيري ، والزبير بن بكار ، وأبو عبيدة ، وغيرهم (١١) .

٨ - وكان الصراع السياسي ، في القرن الأول الهجري خاصة ، مادة غنية استمد منها بعض الكتاب مادة لكتبهم ، كالصراع بين العلويين والامويين مثل كتاب « صفين » لنصر بن مزاحم المنقري ، وكتاب « مقتل حجر بن عدي » لأبي مخنف (١٢) ، أو موضوعات أثارت فضول الناس ، كأعمال الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ألف المدائني كتاباً في أخباره ووفاته (١٣) ، أو عبدالله بن الزبير الذي ألف أبو مخنف كتاباً في مقتله (١٤) ، لما عرف عن قصته من التضحية والشجاعة والوفاء ، وما فعله الامويون عند حصاره . . . الخ . وكانت هذه الكتب وامثالها مادة طيبة للسمر في ليالي الصيف العليل ، وليالي الشتاء الباردة الطويلة ، يتداول الناس فيها

الطرائف والاخبار ، وهي أنس للانيس والمجالس .

٩ - وكان للصراع الذي نشأ بين الاسلام وغيره من الديانات ، ولا سيما المجوسية ، والامور التي ترتبت عليه من ظهور الشعوبية ، ومبدأ التسوية ، قد دفع الكثيرين ممن يعطفون على دياناتهم - المستورة - أو ديانات آبائهم واجدادهم ، الى وضع الكتب التي تبين مجدهم وفضائلهم ، وتقلل من شأن العرب - وهم مادة الاسلام - فظهرت لنا عند ذلك الكتب الكثيرة في أخبار الفرس ، وملوكهم ، ووزرائهم ، وعقلائهم ، ومثالب العرب . وانتج رد الفعل المعاكس كتباً تناولت مفاخر العرب ، وفضائلهم ، وفضلهم على العجم ، كما تناولت أيامهم ومآثرهم (١٥) .

١٠ - وفي القرن الثاني الهجري بدأت الدولة الاسلامية بالتعقد ، وازداد نفوذ السلطة الحكومية ، وأصبحت تنظيمات الدولة على درجة كبيرة من الاتساع والتعقيد ، الامر الذي دفع ، من لهم صلة بهذه الناحية واهتمام بهذا الامر ، من الكتاب والمؤلفين ، الى وضع الكتب التي تبحث في الادارة بغية تسهيل مهمة الموظف الحكومي ؛ فوضعت الكتب في الادارة عموماً مثل كتاب الخراج لابي يوسف القاضي ، وكتاب « الخسراج وصناعة الكتابة » لقدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، الذي تناول في كتابه دواوين الدولة العباسية وبحثها بحثاً مسهباً وبين العلاقة بين هذه الدواوين ، ودوائر الدواوين نفسها ، وكيفية العمل فيها ، وأورد نماذج من التوقيعات في تعيين موظفيها ، كما تطرق الى موضوعات كثيرة أخرى (١٦) . أو انها تناولت موضوعاً خاصاً كالوزارة مثل كتاب « الوزراء » للشعالبي ، « الوزراء والكتاب » للجهمياري ، والقضاء مثل كتاب « أدب القاضي » لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ، وكتاب « أدب القضاة » للخصاف (١٧) ، أو كتاب « روضة القضاة وطريق النجاة » لابي القاسم علي بن محمد بن أحمد السمناني الحنفي المتوفى سنة ٤٩٩ هـ (١٨) الذي احتوى على معلومات مفصلة عن صفات القاضي ، وشروطه ، وأحكامه ، وكتابته ، وبوابه . كما تكلم فيه عن « صاحب الحبس » وأورد معلومات فريدة في بابها عن « ديوان الحكم » سماه « قبض ديوان الحكم وتسليمه وكيف العمل في ذلك » (١٩) ، أو في الحسبة وفيها كتب كثيرة .

ان هذه الكتب لا تدخل كلية في الكتب « التاريخية » اذ انها كتب « ادارية » ، اذ صبح التعبير ، أكثر منها تاريخية ، على الرغم من احتوائها على حوادث تاريخية . ثم انها الى جانب ذلك قليلة نسبياً اذا ما قيسست بالكتب الهائلة التي وضعت في التاريخ الاسلامي بشتى الصور التي كتب بها . كما ان التأليف في مثل هذه الكتب أصبح قليلاً أو كاد ينعدم بعد القرن الخامس الهجري ، اذا استثنينا بعض الموسوعات التي اعتمدت في جل مادتها على الكتب الاولى مثل كتاب « صبح الاعشى في صناعة الانشا » للقلقشندي .

١١ - ووضعت بعض الكتب كتاريخ سياسي ، يوضح تجارب الامة ، ويدون الاحداث والوقائع الخطيرة دون أن يحوي تراجم أو يهتم بها ، الا في القليل النادر . وكانت الغاية من تأليف أمثال هذه الكتب ، تسجيل الاحداث التي تمر بها الامة الاسلامية وفائدتها البالغة لأولي الامر قال ابن الاثير : ٠٠٠٠ فاذا طالعها فكأنه عاصرهم ، واذا علمها فكأنه حاضرهم ؛ ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهي اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف من سلف ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدوث وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الاموال ، وفساد الاحوال ، استقبحوها وأعرضوا عنها واطرحوها ، واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وممالكهم عمرت وأموالها درت ، استحسنتوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه ، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك . . ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث أمر الا قد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لأن يقتدى به أهلا ٠ (٢٠) ، وأكد الكتاب المسلمون على « العبرة » و « الاتعاظ » في مثل هذه الكتب ولعل العنوان الذي وضعه الذهبي لكتابه « العبر في خبر من عبر » يصور هذا الامر أحسن تصوير . وكانت الغاية من هذه الكتب السمر أيضا ؛ فهي مادة طيبة مؤنسة في المجالس ، قال ابن الاثير عند ذكره لفوائد التاريخ : ٠٠ ومنها ما يتجمل به الانسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من معارفها ، ونقل طريفة من طرائفها ، فترى الاسماع مصغية اليه ، والوجوه مقبلة عليه ، والقلوب متأملة ما يورده ويصدره ، مستحسنة ما يذكره (٢١) . ومما يصور لنا التجربة في مثل هذه الكتب تصويرا دقيقا العنوان الذي وضعه مسكويه لكتابه اذ اطلق عليه « تجارب الامم وتعاقب الهمم » .

على ان هذه الكتب وان استمرت لفترة معينة لكنها أخذت بالاضمحلال والضمور والتقلص ، وحينما سيطرت الفكرة الدينية في كتابة التاريخ مرة أخرى ، نرى هذه الكتب وامثالها تعود فيصبح فيها الاهتمام بالتاريخ السياسي أقل كثيرا من الاهتمام بالتراجم ، وهو أمر يدل على أثر علم الحديث في مثل هذا النوع من الكتب (*) .

هذه هي الخطوط العامة التي دفعت العلماء المسلمين الى الاهتمام بالتاريخ ، الى جانب العامل الأكبر ، وهو الحديث النبوي . وسنوضح فيما يأتي ان الحديث وعلومه اخترع فنونا جديدة في صور الكتابة التاريخية ، وترك أثرا عظيما في الصور الاخرى .

بقي علينا الآن ان نوضح اتجاهات الكتابة التاريخية التي لازمت

تطور علم التاريخ عند المسلمين ، ونحاول ان نوضح الصلة بين هذه الاتجاهات التي تناولناها وبين دراسة الحديث وعلومه .

كانت المراكز العلمية الرئيسية في صدر الاسلام هي المدينة ، والعراق - البصرة والكوفة - ، وفي هذه المراكز قامت الحركة الفكرية وانتعشت وأصبحت أساسا للدراسات التي ظهرت فيما بعد في الانحاء الاخرى من العالم الاسلامي . وكان طابع الحركات الفكرية في هذه المراكز قد تأثر الى حد كبير بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ففي البصرة والكوفة مثلا كانت التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية تقوم على أساس التنظيم القبلي ؛ فقسمت البصرة الى أخماس لكل قبيلة من القبائل النازلة فيها مكان خاص بها يسمى « ربع » . كما قسمت الكوفة الى أربعة أقسام حسب القبائل النازلة بها أيضا . وكانت الاحوال الاجتماعية مرتبطة ارتباطا كليا بالتنظيم القبلي هذا ، كالدية والعاقلة وما الى ذلك . ومن هنا بقي سكان هذه المناطق طوال القرن الاول الهجري على طبيعتهم القبلية ، ومن ثم فان دراسة التاريخ اتخذت هي الاخرى اتجاها قبليا ، فكانت استمرارا لاسلوب « الايام » عند العرب . وبالطبع كانت الموضوعات التي تناولها هؤلاء العلماء ذات اتجاه مرتبط بالقبائل بالدرجة الاولى ؛ ولذلك اهتموا باخبار القبائل ، وایامها ، وانسابها ، وشعرائها وكل ما يتعلق بها ويدور حولها . واتسمت الكتابات في هذين المصربين - البصرة والكوفة - بنوع من الاختصاص ، فظهر كتاب اختصاص بالاعخبار ، أو الانساب ، أو الشعر ، أو اللغة وهلم جری .

وغالبا ما كانت الاعخبار في القرن الاول الهجري تروى شفاهيا يتناقلها الرواة بعضهم من بعض ، دون تدوين لها في الاغلب الاعسم . كما ان « الاختصاص » الذي ذكرناه في الاعخبار أو الانساب أو الشعر أو اللغة كان يتداخل في بعض الاحيان ؛ فنجد الرواة يتناولون موضوعات هي ، في الحقيقة ، مكملة لمواضيعهم متممة لها ، فلا بد لرواية الاعخبار مثلا ان يتعاطى الشعر أو يرويها ، أو يستعمل اللغة لتوضيح بعض الغريب في الخبر أو الشعر الذي يرويها . ومن مؤرخي هذه المدرسة خاصة عوانة بن الحكم المتوفى سنة ١٤٣ هـ (٢٢) ، وأبو مخنف لوط بن يحيى « ت ١٥٧ » (٢٣) وسيف بن عمر « ت ١٨٠ هـ » (٢٤) ونصر بن مزاحم المنقري « ٢١٢ هـ » (٢٥) وعلي بن الحسن المدائني « ت ٢٥٢ هـ » (٢٦) وغيرهم .

كانت هذه المدرسة بعيدة نسبيا عن تأثيرات علم الحديث في البداية ، لكنه أثر عليها أثرا واضحا في اضطرارها الى أخذ الاسناد . ومن ثم يضاف الى ذلك انها أخذت تضمحل وتضمز أمام مدرسة المدينة التي قامت على الحديث ودراساته ، وأخذت الاخيرة تضم تحت جناحها معظم الصور التي كتب بها التاريخ الاسلامي . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يلاحظ ان علم الحديث بدأ الى جانب اثره في الاسناد يؤثر على طريقة عرض الرواية عند

هذه المدرسة ، بله واصبح كثير من هذه الاخبار يدخل ضمن الكتب التي وضعت لتكون من كتب « اللغة » و « الادب » أكثر من دخولها في كتب « التاريخ » . ويبدو هذا الامر أكثر وضوحا وانجلاء في كتب الاسمار ، والمجاميع ، مثل « عيون الاخبار » لابن قتيبة الدينوري وبعض كتب الجاحظ وكتاب « الاغانى » لابي الفرج الاصفهاني ، والعقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي وغيرها . والحق ان هذا النوع من الكتب نفسه تطور فيما بعد ، وأصبح يحتوي على « تراجم » بشكل أكثر مما كان عليه ، وهو بعد ذاته مظهر آخر من مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين .

المغازي :

ونشأ الاتجاه الآخر في الكتابة التاريخية وتطور في المدينة ، وظهر بأول صورته على شكل « مغازي » الرسول (ص) ، والتي لم تكن في الواقع تتناول غزواته فقط ، إنما امتدت لتشمل حياته كلها . ولست أبغي هنا ان اتكلم على المغازي ومؤلفيها ، وطبيعتها ، وأهميتها في دراسة عصر الرسالة (٢٧) ، لكنني سأتناول الموضوع من جانب واحد ، هو علاقة الحديث بكتابة المغازي .

ولعلنا في تتبعنا الاسباب التي دفعت كتاب المغازي الى الاهتمام بها ، والاسباب التي كتبت بها ، وطبيعة ما تضمنته من اخبار ، يلقي بعض الضوء على هذه العلاقة التي نحن بصدددها ، ويقودنا الى تبين الاتصال بصورة أكثر وضوحا ، وأوضح انجلاء ، ومن ثم أقرب الى الواقع .

١ - جاء القرآن الكريم وفيه الكثير من الاحكام التي تنظم الحياة الانسانية ، والاخرية ، لكنه جاء في بعض الاحيان شاملا وفيه نوع من التعميم ، كما انه اضافة الى ذلك لم يتناول كل مظاهر الحياة الصغيرة والكبيرة ، ولذلك اعتبرت أقوال الرسول (ص) وأعماله والامور التي أقرها ، وهي السنة ، الاساس الثاني في التشريع الاسلامي ، ومن ثم كان الاهتمام بأقوال الرسول (الحديث) وحياته وأعماله وما جرى في زمانه من غزوات وحروب (السيرة) (٢٨) .

٢ - وفي الوقت نفسه ، كانت أقوال الرسول وأعماله هي المثل الاعلى للدين الاسلامي في جميع نواحيه الروحية والمادية ، فكان لا بد من جمعها وروايتها ، ثم تدوينها ، للاقتداء بها ، والسير على خطاها .

٣ - ولا مرأ في أن الرسول (ص) هو المبعوث بالحق من الله هدى ورحمة للعالمين ، وهو الذي اختاره الله من بين كل هذه البشرية ليكون المبلغ لرسالته السماوية ، والمبين لهداه وصراطه المستقيم . ثم هو اكرم الخلق وأحبهم الى الله تعالى ، لذلك فان المسلمين حينما يتحدثون عن الرسول

وأقواله وأفعاله ، كانوا يشعرون بالفخر والاعتزاز .

٤ - وكان الذي يروي حديث رسول الله (ص) وأعماله وأفعاله ، ويسرد سيرته الزكية ينال احتراما كبيرا ، وتبجيلا كثيرا عند مستمعيه ، وهو في الغالب ذو مكانة مرموقة عند العام والخاص . ومن هنا لاحظنا ان أبناء الصحابة ساهموا مساهمة كبيرة في المغازي حتى كادت تقتصر عليهم ، وقلما دخل فيها أحد غيرهم . والواقع ان اتصال هؤلاء بأبائهم ، واتساع معلومات الآباء جراء اتصالهم بالرسول (ص) ، قد سهل عليهم الكثير من العناية في معرفة حياة الرسول الكريم (ص) . هذا الى جانب ان أبناء الصحابة واحفادهم قد عاشوا في بيئة كانت مملوءة بمثل هذه الاحاديث والايثار .

٥ - ولا يخفى على القاريء ما كان لمن اشترك مع الرسول (ص) في غزواته ، وأعماله ، وفعالياته ، من المنزلة الاجتماعية المرموقة عند المسلمين عامة ؛ ومن هنا كان اظهار اعمال هؤلاء الاشخاص ومساهماتهم في الدعوة الاسلامية ، وتثبيت اركان الاسلام ، وارساء قواعده ، أمورا تجعل من أسلافهم يبحثون وينقبون ، ومن ثم يروون ، عن هذه المآثر الطيبة ، رفعا لمكانتهم الاجتماعية ، وتدعيما لمراكزهم التي يتمتعون بها عند الناس ، وتمييزا لهم عن بقية المسلمين . هذا الى جانب من كان يحاول اظهار مركز عائلته ودورها الكبير الذي لعبته في عصر الرسالة ، لاغراض أخرى ؛ من مركز ، أو سلطان .

٦ - ولم يكن الرسول وحده قدوة للناس ، انما اصبح الصحابة رضي الله عنهم ، هم الآخرون بدورهم قدوة يقتدى بهم ، ومثلا يحتذى . ومن هنا لاحظنا دخول الكثير من اعمال الصحابة في اطار « المغازي » أو « السيرة » ، ومن ثم اعتبرت احاديثهم وفتاواهم وأعمالهم في كثير من الاحيان جزء لا يتجزأ من السنة .

٧ - والى جانب التشريع ، كان التنظيم الاداري في العصر الاموي ، ومحاولة تثبيت الانظمة الراسخة للدولة الاسلامية من العوامل الاساسية التي أدت الى الاهتمام بالسنة ككل والحديث بصورة خاصة ؛ فكان الخلفاء مثلا يتوجهون بالاسئلة لمن عرف بعلمه في هذه الامور ليجيب عليها ؛ فقد طلب عبد الملك بن مروان ايضا لبعض الامور من عروة بن الزبير « ت بين ٩٥ - ١٠٥ هـ » ، كذلك فعل الوليد بن يزيد بواسطة احد رجال بلاطه ، وهو ابن ابي هنيدي (٢٩) . ولا يغرب عن بالنا اهتمام الخليفة عمر بن عبدالعزيز بالتنظيمات الادارية ومحاولاته في هذا المجال ، ولعل طلبه الذي وجهه الى عامله على المدينة ابن حزم هو خير ما يصور ما ذهبنا اليه . وأمر خالد بن عبد الله القسري عامل العراق محمد بن شهاب الزهري ان يكتب له السيرة (٣٠) . كل هذه الامور ، يضاف اليها المتعة الزائدة بالاستماع الى اخبار الرسول (ص) وأقواله ، قد أدت ، ولا شك ، الى الاهتمام العظيم

وأقواله وأفعاله ، كانوا يشعرون بالفخر والاعتزاز .

٤ - وكان الذي يروي حديث رسول الله (ص) وأعماله وأفعاله ، ويسرد سيرته الزكية ينال احتراما كبيرا ، وتبجيلا كثيرا عند مستمعيه ، وهو في الغالب ذو مكانة مرموقة عند العام والخاص . ومن هنا لاحظنا ان أبناء الصحابة ساهموا مساهمة كبيرة في المغازي حتى كادت تقتصر عليهم ، وقلما دخل فيها أحد غيرهم . والواقع ان اتصال هؤلاء بأبائهم ، واتساع معلومات الآباء جراء اتصالهم بالرسول (ص) ، قد سهل عليهم الكثير من العناية في معرفة حياة الرسول الكريم (ص) . هذا الى جانب ان أبناء الصحابة واحفادهم قد عاشوا في بيئة كانت مملوءة بمثل هذه الاحاديث والايثار .

٥ - ولا يخفى على القاريء ما كان لمن اشترك مع الرسول (ص) في غزواته ، وأعماله ، وفعالياته ، من المنزلة الاجتماعية المرموقة عند المسلمين عامة ؛ ومن هنا كان اظهار اعمال هؤلاء الاشخاص ومساهماتهم في الدعوة الاسلامية ، وتثبيت اركان الاسلام ، وارساء قواعده ، أمورا تجعل من أسلافهم يبحثون وينقبون ، ومن ثم يروون ، عن هذه المآثر الطيبة ، رفعا لمكانتهم الاجتماعية ، وتدعيما لمراكزهم التي يتمتعون بها عند الناس ، وتمييزا لهم عن بقية المسلمين . هذا الى جانب من كان يحاول اظهار مركز عائلته ودورها الكبير الذي لعبته في عصر الرسالة ، لاغراض أخرى ؛ من مركز ، أو سلطان .

٦ - ولم يكن الرسول وحده قدوة للناس ، انما اصبح الصحابة رضي الله عنهم ، هم الآخرون بدورهم قدوة يقتدى بهم ، ومثلا يحتذى . ومن هنا لاحظنا دخول الكثير من اعمال الصحابة في اطار « المغازي » أو « السيرة » ، ومن ثم اعتبرت احاديثهم وفتاواهم وأعمالهم في كثير من الاحيان جزء لا يتجزأ من السنة .

٧ - والى جانب التشريع ، كان التنظيم الاداري في العصر الاموي ، ومحاولة تثبيت الانظمة الراسخة للدولة الاسلامية من العوامل الاساسية التي أدت الى الاهتمام بالسنة ككل والحديث بصورة خاصة ؛ فكان الخلفاء مثلا يتوجهون بالاسئلة لمن عرف بعلمه في هذه الامور ليجيب عليها ؛ فقد طلب عبد الملك بن مروان ايضا لبعض الامور من عروة بن الزبير « ت بين ٩٥ - ١٠٥ هـ » ، كذلك فعل الوليد بن يزيد بواسطة احد رجال بلاطه ، وهو ابن ابي هنيدي (٢٩) . ولا يغرب عن بالنا اهتمام الخليفة عمر بن عبدالعزيز بالتنظيمات الادارية ومحاولاته في هذا المجال ، ولعل طلبه الذي وجهه الى عامله على المدينة ابن حزم هو خير ما يصور ما ذهبنا اليه . وأمر خالد بن عبد الله القسري عامل العراق محمد بن شهاب الزهري ان يكتب له السيرة (٣٠) . كل هذه الامور ، يضاف اليها المتعة الزائدة بالاستماع الى اخبار الرسول (ص) وأقواله ، قد أدت ، ولا شك ، الى الاهتمام العظيم

بأعماله وأقواله وفعالياته وكافة الأمور المتعلقة به وبأصحابه .
وبعد أن بينا الدوافع التي أدت إلى الاهتمام بحياة الرسول ، وحاولنا أن نقدم لذلك صورة ، نأمل أن تكون على شيء من الوضوح ، فننتقل إلى أمر آخر لا يقل في أهميته عما تكلمنا عليه قبل قليل ، وهو المادة التي كونت « المغازي » ، والشكل الذي وضعت فيه واتخذته . وهو أمر سيحتم علينا القاء نظرة عجيلى على كتاب المغازي وصلتهم بالحديث .
فأول ما ظهرت كتابة المغازي في المدينة كانت متصلة اتصالاً وثيقاً بدراسة الحديث (٣٢) ، ولم تكن في الواقع إلا جزء من هذه الدراسة - أي دراسة الحديث - ، ويبدو ذلك أكثر جلاءً ووضوحاً حينما يستعرض الباحث كتابها والمشتغلين بها . وأول محاولة من هذا النوع كانت محاولة إبان بن عثمان بن عفان (٣٢) ، الذي كان محدثاً قبل أن يبدي اهتماماً بالمغازي . ولم تصلنا من كتابات إبان في المغازي إلا إشارة أشار إليها اليعقوبي (٣٣) ، وخبر آخر يتعلق بمعاوية بن أبي سفيان (٣٤) . وقد روت كتب الصحاح كثيراً من الأحاديث عن إبان . وأشار ابن سعد إلى مغازي إبان بن عثمان بن عفان في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال : قال محمد بن عمر (الواقدي) : خرج المغيرة بن عبد الرحمن إلى الشام غير مرة غازياً ، وكان جيش مسلمة الذين أحبسوا بارض الروم حتى أقفلهم عمر بن عبدالعزيز ، وذهبت عينه ، ثم رجع إلى المدينة فمات بالمدينة وقد روي عنه ، وكان ثقة قليل الحديث إلا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من إبان بن عثمان ، فكان كثيراً ما يقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها (٣٥) وذكر ابن سعد في ترجمة إبان بن عثمان أنه كان ثقة يروي الحديث (٣٦) وذكره البخاري في تاريخه وذكر أنه سمع من والده عثمان بن عفان ، وروي عنه الزهري (٣٧) وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب وذكر أنه روى عن أبيه ، وزيد بن ثابت ، وإسماعيل بن زيد . وروي عنه ابنه عبد الرحمن ، وعمر بن عبدالعزيز ، وأبو الزناد ، والزهري ، ونبيه بن وهب وغيرهم . ونقل ابن حجر عن عمرو بن شعيب أنه قال : ما رأيت أعلم بالحديث ولا فقه منه . وعده يحيى القطان من فقهاء المدينة . وقال العجلي : ثقة من كبار التابعين (٣٨) . وهكذا فقد كان إبان محدثاً وفقهياً ، قاده هذه العلوم إلى الاشتغال بالمغازي كجزء من عمله هذا في الحديث والفقه .

أما عروة بن الزبير بن العوام « ت ٩٤ هـ » فيقول حاجي خليفة أنه أول من ألف في المغازي (٣٩) . وقد وصلتنا بعض من مغازيه مبثوثة في الكتب التي نقلت عنه . كان عروة بن الزبير محدثاً ، وقد روت له كتب الصحاح عدداً كبيراً من الأحاديث ، وقلما تجد باباً من أبواب الحديث في هذه الكتب ولا تجد لعروة حديثاً فيه . ومعظم هذه الأحاديث رويت عن طريق ابنه هشام (٤٠) والأسناد الذي يتكرر في كتب التاريخ والحديث هو :

هشام عن عروة عن عائشة .

وكان عروة يهتم اهتماما بالغاً بالحديث ، وكان يعتز بمعرفته هذه .
روى ابنه هشام عنه انه قال : يا بني سلوني فلقد تركت حتى كدت أن أنسى ، واني لأسأل عن الحديث فيفتح حديث يومي (٤١) . ووصف الزهري عروة بأنه « بحر لا ينزف » (٤٢) . وقال ابنه هشام : والله ما تعلمنا منه جزء من ألفي جزء من أحاديثه (٤٣) وهو أمر يدل على سعة اهتمامه بالحديث الذي كان يطلق عليه « العلم » قال : تعلموا العلم تسودوا به قومكم ويحتاجوا اليكم (٤٤) . وكان عروة تقياً ورعاً زاهداً ، روى ابنه هشام أن أباه كان يصوم الدهر كله الا يوم الفطر ويوم النحر ، ومات وهو صائم (٤٥) ، كما انه لم يلعب دوراً في الحياة السياسية وظل معتزلاً ويبدو ذلك من النص الذي أورده ابن سعد قال : أخبرنا اسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس ، قال : حدثني أبي ، عن عبد الله بن حسن انه قال : كان علي بن حسين بن علي بن أبي طالب يجلس كل ليلة هو وعروة بن الزبير في مؤخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العشاء الآخرة ، فكنيت اجلس معهما ، فتحدثنا ليلة فذكر جور من جار من بني أمية والمقام معهم ، وهم لا يستطيعون تغيير ذلك ، ثم ذكرا ما يخافان من عقوبة الله لهم ، فقال عروة لعلي : يا علي ! ان من اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم فان كان منهم على ميل ثم أصابته عقوبة الله رجي له أن يسلم مما أصابهم ، قال : فخرج عروة فسكن العقيق (٤٦) .

والواقع ان الذي يجمع النصوص التي وردت عن عروة بن الزبير ، ويلقى عليها نظرة فاحصة يجدها في الأغلب الأعم ، احاديث مرتبة بشكل مترابط يكون وحده موضوعية متماسكة متجانسة ، ومن هنا يتضح لنا ان دراسة المغازي ما هي في الواقع الا تبويب جديد للاحاديث النبوية ، تطورت فيما بعد ودخلت فيها رواية الاحداث المتعلقة بالرسول والصحابة ومن عاصريهم . وحتى هذه الاخيرة فانها ظلت تروى وتدون بطريقة أهمل الحديث ، اي استعمال الاسناد ، واقامة النقد عليه .

لقد اكتملت هذه الخاصية في دراسة المغازي بظهور شخصية عظيمة ساهمت بشكل واسع في دراستها ، هو محمد بن مسلم الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ ، الذي اعتمد على عروة بن الزبير كثيراً في هذا المجال ، وأخذ الزهري علمه من أعظم المحدثين في زمانه أمثال سعيد بن المسيب ، وإبان بن عثمان ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن الزبير وغيرهم . وكتب الدكتور السوري بحثاً مسهباً عن الزهري (٤٧) ، أثبت فيه اثباتاً لا يقبل الشك ان الزهري « قام ببحث واسع عن روايات المدينة وأحاديثها ، وكتب ما كان يسمع ليعين ذاكرته . وقد محص تلك الروايات ووضعها في اطار متين واضح . ودراسة رواياته التي وصلتنا تجعلنا نميل الى أنه كان أول من أعطى « السيرة » - وهو التعبير الذي استعمله - هيكلًا

محدودا ورسم خطوطها بوضوح . وتبدأ خطته للسيرة بذكر بعض المعلومات عن قبل الاسلام والتي تتصل بحياة النبي محمد (ص) . ثم يتناول النواحي الهامة من الفترة المكية من حياة الرسول ، ثم الهجرة الى المدينة ، ويتناول المغازي وفتح مكة ، وبعض السفارات التي ارسلها الرسول والوفود التي قدمت عليه ، ويتحدث عن فعاليات أخرى للرسول ثم مرضه وانتقاله من هذه الحياة . وراعى الزهري التسلسل التاريخي في حوادث السيرة وأعطى تواريخ الحوادث المهمة .

وقد أخذ الزهري جل مواده عن السيرة من الحديث ، ولا نجد الا أثرا بسيطا للقصاص فيما كتب ، كما اننا نجد صدى ضعيفا في مادته لقصاص الانبياء التي اهتم بها كما يبدو . ومع ان الزهري كان يحب الشعر مثل أبناء عصره ، بل كان ضليعا في الشعر ، الا ان استعماله له محدود في مغازيه ، فهو بعيد عن اسلوب الايام في كتابته . (٤٨) وبهذا رد الدكتور الدوري على النظرية القائلة بان اصول المغازي ترجع الى القصص الشعبي (٤٩) وابان خطتها ، وأثبتت في دراسته المستفيضة تلك الى انها ترجع الى الدراسات الاصلية التي قام بها المحدثون وتلامذتهم .

وحينما انقضى جيل الزهري ظهر تلامذته الذين ساروا على النهج الذي وضعه علماء المدينة المحدثون في كتابة المغازي ، ومن هؤلاء موسى بن عقبة بن أبي عياش الاسدي المتوفى سنة ١٤١ هـ (٥٠) . وقد وجدت قطعة من مغازيه في المكتبة الرسمية البروسية ترجمها الى الالمانية الاستاذ ادورد سخاو . والذي يلاحظ من دراسة النصوص التي وردتنا عن موسى بن عقبة تأكيده على الاسناد ، وهو أمر يعكس الى حد ما اهتمام المحدثين بالاسناد ابان هذه الفترة ، كما انه يفسر بنفس الوقت تأثير الحديث على التاريخ . والواقع ان موسى في مغازيه اعتمد كثيرا على الزهري ، ولكنه في الوقت نفسه اضاف معلومات جديدة ومهمة ، كما أنه استعان ببعض المدونات ، ومن المحتمل أنه استعان بالكتب التي تركها استاذ الزهري ، والتي روي انها كانت كثيرة جدا (٥١) .

ثم نجد بعد ذلك ظهور شخصية فذة في تاريخ المغازي ، هي شخصية محمد بن اسحاق بن يسار مولى عبدالله بن قيس بن مخزومة بن المطلب المتوفى سنة ١٥١ هـ (٥٢) وهي شخصية اثارت الكثير من المناقشات قديما وحديثا دارت حول صحة المعلومات الواردة في السيرة عموما (٥٣) ، لاسيما وان الشكل الذي وضعه ابن اسحاق لم يصلنا ، انما الذي بين ايدينا هو تهذيب وضعه ابن هشام ، وقطعه من كتاب ابن اسحاق الاصل .

ولا نعرف بالضبط ما حذفه ابن هشام عندما هذب السيرة ، على أنه في المقدمة التي كتبها لهذا التهذيب قد بين خطته في الحذف والعرض ، قال : وانا ان شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسماعيل بن ابراهيم ، ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده ، وأولادهم لاصلابهم ،

الاول فالاول ، من اسماعيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد اسماعيل ، على هذه الجهة ، للاختصار ، الى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر احداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ، ومستقص ان شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به . » (٥٤)

ويرى الاستاذ يوسف هوروفتس ان ابن اسحاق قد ألف كتابه في ثلاثة أقسام هي : المبتدأ ، والمبعث ، والمغازي (٥٥) ، على أن الدكتور الدوري يرى انهما كانا كتابين مستقلين أحدهما في المبتدأ والاخر في السيرة ، وتبدو الأدلة التي أوردها في بحثه عن محمد بن اسحاق قوية ومقنعة الى حد بعيد خاصة بعد أن درس قطعة متبقية من سيرة ابن اسحاق الاصلية (٥٦) ، وكان الاستاذ العابد الفاسي قد ذكرها في مقالته عن « خزانة القرويين ونوادرها ، وذكر انها تشمل الاجزاء ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ كتبت سنة ٥٠٦ هـ ، عليها عدة سماعات نقلت من الاصل المنتسخ منه (٥٧) . وقدم لنا الدكتور الدوري مقارنة طريفة بين تهذيب ابن هشام والاجزاء الباقية من سيرة ابن اسحاق ، من ناحية الشعر والروايات الاخرى (٥٨) ، وهي امور تلفت النظر وتستحق الاهتمام بشكل اكبر .

ويبدو ان خروج محمد بن اسحاق عن اسلوب المحدثين من أهل المدينة ، بتناوله « المبتدأ » في دراسته والتطرق الى امور ، هي خارج حدود الحديث النبوي ، بعيدة عن نطاقه ، قد اثار عليه سخطا كبيرا عند علماء عصره من أهل الحديث خاصة . وانت ان تمعن في التهم التي وجهت لابن اسحاق تجدتها تدور في هذا الاطار ، وان زيد فيها بعض الاحيان ، أو اتخذت اشكالا خفية أخرى ، ثم تناولتها ايدي المتأخرين المتأثرين بمدرسة المدينة ، وربما زادوا عليها بعض الشيء . ونجد هذه الاتهامات مبثوثة في الكتب التي ترجمت له ، وحاول ابن سيد الناس « ت ٧٤٣ هـ » (٥٩) في كتابه « عيون الاثر في فنون المغازي والشمال والسير » أن يجمع هذه التهم (٦٠) ، ويرد عليها (٦١) ومع كل ذلك فقد مدحت « مغازيه » مدحا رائدا ، فقد روي عن الزهري انه قال : من اراد المغازي فعليه بمولى قيس بن مخرمة هذا (٦٢) ، وقال الشافعي : من اراد ان يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن اسحاق (٦٣) ، كما أوصى بالاخذ منها (٦٤) . ويبدو مما ذهبنا اليه ان أهل الحديث - أهل المدينة - حاربوه وجانبوه ، اكثر وضوحا في عبارة ياقوت الحموي حينما يقول : « وأصحاب الحديث

يضعفونه ، ويتهمونه « (٦٥) ، ومن هنا تبدو الدلالة واضحة ، فالهجوم العنيف الذي لاقاه ابن اسحاق من مالك بن انس وهشام بن عروة وغيرهما من علماء المدينة ، ثم من الكتاب الآخرين كالخطيب البغدادي ، والذهبي ، ممن عرف عنهم شدة التعصب لأهل الحديث ، كلها أمور تشير صراحة الى خروجه عن اطار هذه المدرسة التي سيطرت على كتابة « المغازي » حتى ذلك العصر ، ولم يدخل بين ظهرائهم أي واحد ينافسهم ، أو يغير في منهجهم ، واسلوبهم ، وما تعودوا عليه ، فمجيء ابن اسحاق وتقديمه لونا جديدا من المغازي لم يألّفه أهل المدينة ، ولا يقوم كله على الحديث ، أثار سخطا واسعا عليه ؛ فتوجهوا اليه بالتهمة الكثيرة ، كان منها الحق ، وكان الكثير منها باطلا ، وهو أمر يستعمله الخصم دائما للتقليل من شأن خصمه وتأليب الناس ، أو العامة ، عليه . والا فالتهم التي وجهت لابن اسحاق كالترواية عن المجاهيل ، وأهل الكتاب . . الخ كان الواجب أن توجه أيضا الى محمد بن جرير الطبري الذي ضمن الكثير من هذا تفسيره وتاريخه ، وقل مثل هذا عن ابن الاثير وابن كثير الدمشقي ، وكلهم كتبوا في المبتدأ ، وكلهم رويوا عن أشخاص ضعفهم أهل الحديث .

لقد كانت صدمة قوية لأهل المدينة ذلك الذي قام به ابن اسحاق ، لكنه قدم مادة ظلت تتناقلها امهات الكتب ، ولم تجد في أغلب الاحيان خيرا منها لتقدمها وتعتمد عليها ، فكأنوا يشتمونه وينقلون عنه في الوقت نفسه . وظهر هذا الكره الشديد الذي اضمره أهل المدينة لابن اسحاق في الكتاب الذي وضعه الواقدي « ت ٢٠٧ » (٦٦) والذي كان بلسما لجراح أهل المدينة من محمد بن اسحاق ، فحاول الواقدي ، جهد طاقته ، الرجوع في كتابه « المغازي » الى اسلوب أهل المدينة نفسه ، وهو اسلوب المحدثين ، فكتب مغازيه على هذه الصورة ، وهذه الغاية ، ولم يجعلها في اطارها تخرج عن الفترة المدنية ، كما انه استعمل الاسناد بشكل اكثر دقة ، كما انه أورد اشعارا قليلة جدا بالمقارنة مع ما أورده ابن اسحاق ، وكان متخوفا دقيقا عند ايراده للشعر ، وكأنه يشعر بالهجوم العنيف الذي يُقيه ابن اسحاق ، فكان يخلص نفسه ويوثق شعره بعبارات يوروها لهذا الغرض نحو قوله : « ما رأيت من اصحابنا احدا يدفعه » أو « سمعت أصحابنا يشتمونها » (٦٧) . ولم ينقل الواقدي عن محمد بن اسحاق ، وقدم لنا بذلك مثلا جليا لمقاطعة مدرسة المدينة لابن اسحاق وعدم الاخذ منه .

لقد استقرت كتابة المغازي عند ابن اسحاق ، ومن جاء بعده كان عيالا عليه ، لم يزد سوى الترتيب والتبويب ، وفي بعض الاحيان التعليق على بعض الحوادث ، سواء اعتبروا أنفسهم معلقين أم مذهبين كما فعل ابن هشام مذهب سيرة ابن اسحاق « ت ٢١٨ هـ » ، أو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن الحسين الامام السهيلي الاندلسي صاحب كتاب « الروض الانف » والمتوفى سنة ٥٨١ هـ ، وقطب الدين عبد الكريم الجماعيلي

المتوفى سنة ٧٥٣هـ ، ام اعتبروا أنفسهم « مؤلفين » وان لم يعرف لهم في كتبهم سوى التبويب والترتيب وبعض التعاليق ، فوضعوا كتباً في السيرة النبوية كما فعل ابن فارس اللغوي المتوفى سنة ٣٩٥ ومحمد بن علي بن يوسف الشافعي الشامي المتوفى سنة ٦٠٠هـ وغيرهم كثير .

ونحن حينما نقدم هذا العرض البسيط الوجيز لم تكن غايتنا الا لقاء نظرة سريعة على أصول المغازي وعلاقتها من حيث النشأة والتطور بالحديث النبوي الشريف . وانك ان امعنت النظر بالنصوص السالفة قد تستطيع ان تلاحظ ، ان كتاب المغازي كانوا محدثين قبل أن يكونوا مؤرخين ، وان اهتمامهم بالحديث ودراسته وروايته هو الذي دفعهم الى الاهتمام بالمغازي كجزء من الحديث وروايته ، وحتى حينما اطلق نلفظ « السيرة » لتكون أوسع شمولاً ظل الحديث الركن الركين والدعم الاساسية في تكوين المادة التاريخية للسيرة النبوية الزكية ، وهكذا كانت متصلة بالحديث ، بل هي جزء منه ، نشأت بنشأته وتطورت على هذا الاساس ، ولعل خير دليل يثبت ما ذهبنا اليه الهجوم العنيف الذي لقيه ابن اسحاق حينما حاول تعدي اطار هذه المدرسة واخراجها عن تقاليدھا .

المحدثون المؤرخون :

لم يكتف هؤلاء الكتاب ومن جاء بعدهم بتأليف الكتب في المغازي ، أو حياة الرسول (ص) عموماً ، إنما تعدوا ذلك ، وتوسع أفقهم وامتد ، فوضعوا كتباً تناولت تاريخ الخلفاء الراشدين ، وفتوحهم ، وأعمالهم ، والاحداث المهمة التي كانت في عصرهم ، والخلفاء الذين جاءوا بعدهم ، فابن اسحاق مثلاً كان قد وضع كتاباً في « تاريخ الخلفاء » (٦٨) ، وتناولت دراسات الزهري من قبله تاريخ الخلفاء الراشدين أيضاً ، وكتب الواقدي في موضوعات شتى من التاريخ ، فوضع في الفتوح ، مثل كتاب « فتوح الشام » وكتاب « فتوح العراق » ، كما وضع كتاباً في أخبار مكة ، وألف في تاريخ الراشدين مثل كتاب « سيرة أبي بكر ووفاته » ، وكتاب « مداعي قریش والانصار في القطائع ووضع عمر الدواوين وتصنيف القبائل ومراتبها وانسابها » ، وكتب في الاحداث الاسلامية المهمة مثل كتاب « السقيفة وبيعة أبي بكر » ، وكتاب « الردة » وكتاب « الجمل » وكتاب « صفين » وكتاب « مقتل الحسين » . وفي الوقت نفسه ألف كتباً عامة في التاريخ الاسلامي مثل كتاب « التاريخ الكبير » ، كما تذكر له كتب في التراجم مثل « تاريخ الفقهاء » وكتاب « الطبقات » ، هذا الى جانب كتبه في الحديث مثل كتاب « غلط الحديث » ، وكتاب « السنة والجماعة وذم الهوى وترك الخوارج في الفتن » ، وتناولت كتبه التي وضعها في الفقه أموراً شتى متنوعة (٦٩) .

ومن هنا نرى ان الواقدي كان ذا أفق واسع لم تقتصر دراسته على الامور المتعلقة بالحديث أو الفقه أو الدين عموما ، انما استطرد وتوسع فشملت كتبه وتأليفه موضوعات كثيرة تناولت احوال الدولة الاسلامية ، من المحتمل انها امتدت الى عصره .

ونحن ، في الواقع ، اذا ما دققنا النظر ببعض الرواة والمؤرخين نستطيع أن نتلمس بسهولة ويسر اهتمامهم بالجانبين ، الحديث والتاريخ . ولا يخفى ان دراسة الحديث هي من مقومات الثقافة العامة في العصور الاسلامية ، فكان لابد ، على الاغلب الاعم ، ان يتجه الطالب أول ما يتجه وهو لما يزل في عهد النضبا والشباب نحو دراسة القرآن والحديث وعلومهما ، ثم يطلب التاريخ بعد ذلك ، ليعينه في ضبط الحديث ، فاذا ما تعمق فيه ، وأصبح متمكنا منه ، مسيطرا عليه ، قادرا على فهم غوامضه ، ووجد هوى في نفسه ، اتجه تفكيره عندئذ تجاه هذه الناحية فينصرف اليها أو يكاد ، ويبلغ من أمره ان يقل تبعا لذلك اهتمامه بالحديث وروايته ودراسته ، فيصبح حينئذ الاصل فرعا والفرع اصلا . وهذه ، لا ريب ، هي الحال بالنسبة لعدد ليس بالقليل من الذين كتبوا في التاريخ الاسلامي ، سواء أكانوا قد كتبوا ليستعينوا على الحديث ، أم رغبة دفعتهم ، وانسا أخذ بمجامع قلوبهم لسماع الاخبار وروايتها ، أم فخرا بمعرفتها وارضاء لمن يحب هذا النوع من العلم ويهواه ، وهناك بعد السامع التي تثبت هذا الرأي وتوضحه :

فاسماعيل بن عياش بن سليم العنسي الحمصي المتوفى سنة ١٨١هـ كان ممن اشتهر برواية الحديث ، فروى عن أئمة هذا العلم ، كالاوزاعي ، وابن جريج ، ويحيى بن سعيد الانصاري ، وموسى بن عقبة ، وسفيان الثوري ، والاعمش وغيرهم . وكان من أعاضم حفاظ الحديث . قال أحمد بن حنبل لداود بن عمرو الضبي : هل كان اسماعيل يحدثكم . . من حفظه ، فقال له : نعم ما رأيت معه كتابا قط ، فقال له : قد كان حائطا ، كم كان يحفظ ؟ قال شيئا كثيرا ، فقال له : ان كان يحفظ عشرة آلاف ، فقال : عشرة آلاف وعشرة آلاف وعشرة آلاف ، فقال أحمد : كان هذا مثل وكيع . وقال أحمد بن حنبل أيضا : ليس أحد اروي لحديث الشاميين من اسماعيل ابن عياش (٧٠) . وروى له الطبري في تاريخه (٧١) .

وكان الوليد بن مسلم الاموي الدمشقي اتوفى سنة ١٩٥هـ (٧٢) ، عالم الشام في عصره ، روى عن اعلام المحدثين مثل خريز بن عثمان ، وصفوان ابن عمرو ، والاوزاعي ، وابن جريج ، وابن عجلان ، وابن أبي ذئب ، وسعيد بن عبدالعزيز ، والثوري ، وعبدالله بن العلاء بن زبر ، وزهير ابن محمد التميمي ، وخالد بن يزيد بن صبيح ، وشيبان النحوي ، وخلق كثير . وروى عنه اعلام أئمة الحديث ، كأحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهوية ، وعلي بن المديني ، وابو خيثمة ، واسحاق بن منصور الانصاري ،

وصدقة بن الفضل المروزي (٧٣) واضرابهم . ووضع كتباً كثيرة بلغت سبعون كتاباً . ووضع إلى جانب ذلك كتاباً في المغازي قال عنه أبو زرعة الرازي : كان الوليد أعلم من وكيع بامر المغازي (٧٤) . وروى له الطبري في تاريخه (٧٥) .

ومن مشاهير الرواة والمحدثين محمد بن بشار بن عثمان بن كيسان العبدى البصري، أبو بكر المعروف ببندار (٧٦) المتوفى ببغداد سنة ٢٥٢هـ (٧٧) كان من المشاهير القلائل في رواية الحديث .

روى انه ولد سنة ١٦٧هـ (٧٨) . ونشأ في البصرة ، ولم يخرج من البصرة في طلب الحديث أكثر عمره ، فلم نجد له ذكراً في البلدان الأخرى غير بغداد (٧٩) وربما بعض المناطق القريبة الأخرى . وكانت والدته لا تستطيع فراقه ولهذا لم يسافر براً بها وحياً لها . سمع ابن بشار من محمد بن جعفر غندرا ، ومحمد بن أبي عدي ، وعبد الوهاب الثقفي ، ووكيع بن الجراح ، وعباد بن موسى ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى ابن سعيد القطان ، وخالد بن الحارث ، وروح بن عباد . وروى عنه إبراهيم ابن اسحق الحربي ، وأبو بكر بن أبي الدنيا ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وعبد الله بن محمد بن ياسين ، وقاسم بن زكريا المطرز ، وعبد الله بن محمد البغوي ، ومحمد بن اسماعيل البصلاني ، وأبو بكر بن أبي داود ، ويحيى ابن محمد بن صاعد ، وغيرهم . وأخذ عنه الحديث وهو لما يزل شاباً لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره (٨٠) ، وذكر أبو داود انه كتب عن بندار نحواً من خمسين ألف حديث (٨١) ، وذكر ابن حجر ان البخاري روى له خمسة ومائتين حديثاً ، وروى عنه مسلم ستين وأربعمائة حديثاً (٨٢) ، ويبدو أنه كتب الكثير من أحاديثه ، ويبدو ذلك من اعتذار الخطيب عنه حينما قال : بندار وإن كان يقرأ من كل كتاب ، كان يحفظ حديثه (٨٣) .

روى الطبري أحاديث وأخباراً عن محمد بن بشار في «المبتدأ» فروى عنه في بدء خلق العالم (٨٤) ، وخلق الليل والنهار (٨٥) والقمر (٨٦) ، وكيفية خلق آدم (٨٧) وخبراً عن اخراج آدم من الجنة ونزوله الى الأرض (٨٨) ، وقابيل وهابيل والنزاع بينهما (٨٩) ، وحواء وولدها عبد الحارث (٩٠) والنبي داود (٩١) ، وأسباب بعث الانبياء (٩٢) ، وسام وحام ويافث (٩٣) ، ونبي الله إبراهيم وزواجه من هاجر ومولد اسماعيل وحفر بئر زمزم (٩٤) ، وأول ظهور الحج إلى الكعبة زمن إبراهيم (٩٥) ، وقصة فداء اسماعيل (٩٦) ، وشيثاً عن موسى (٩٧) ، وقارون (٩٨) ، وأصحاب الكهف (٩٩) وملوك الطوائف (١٠٠) والمدة بين آدم ونوح عليهما السلام (١٠١) .

ونقل الطبري عنه أخباراً تتعلق بالفترة الإسلامية ، كزواج عائشة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠٢) وعدد المسلمين في بدر (١٠٣) ، وعن موقعة أحد (١٠٤) ، وفرض الصلاة (١٠٥) ، ويوم الخندق وسلمان الفارسي (١٠٦) وفتح حصن خيبر (١٠٧) ، وخبراً عن بناء البصرة وسببه (١٠٨) ، كما أورد له

الطبري أشياء كثيرة عن عمر بن الخطاب ؛ من ذلك خطبة له (١٠٩) ، وكيف كان رضى الله عنه يعس بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ، ويتفقد أحوالهم بيديه (١١٠) ، ومحاولته أخذ فضول أموال الأغنياء وتقسيمها على الفقراء (١١١) وحرصه وتشديده في معاملة عماله (١١٢) ، وتناولت رواية الطبري عنه أموراً أخرى (١١٣) .

وروى الطبري كل هذه الاخبار عن محمد بن بشار مباشرة ، وفي الوقت نفسه روى عنه اخباراً أخرى في التفسير (١١٤) وتناولت ذلك الكتب التاريخية الأخرى (١١٥) .

ويبدو لي من الاخبار التي رواها الطبري وغيره عن محمد بن بشار انه كان صاحب تأليف ، أو أنه على الأقل قد دون بعض مروياته ، ويبدو ذلك من السبك والتسلسل الواضح في رواياته والتسلسل الزمني الذي أخذ عنه الطبري . ومما يلاحظ أيضاً أنه تناول فترات مختلفة من التاريخ الاسلامي وقدم بذلك دليلاً على ترابط الحديث والتاريخ . واني مورد لك فيما يأتي نصاً رواه الطبري عن محمد بن بشار حول غزوة الخندق ، قد نستطيع منه أن نبين أسلوب محمد بن بشار وطريقته وعرضه للمادة : فحدثنا عن محمد بن بشار ، قال : حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : حدثنا كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، قال :

خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب من أجمل الشيوخ (١١٦) طرف بني حارثة ، حتى بلغ المذاذ (١١٧) ثم قطعه أربعين ذراعاً بين كل عشرة ، فاحتق المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي - وكان رجلاً قوياً - فقالت الانصار : سلمان منا ، وقالت المهاجرون : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت . قال عمرو بن عوف : فكنت انا وسلمان ، وحذيفة بن اليمان ، والنعمان ابن مقرن المزني ، وستة من الانصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا تحت ذو باب حتى بلغنا الندي ، فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا ، وشقت علينا . فقلنا : يا سلمان ، ارق الى رسول الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة ، اما ان نعدل عنها فان المعدل قريب ، واما أن يأمرنا فيها بأمره ، فانا لا نحب أن نجاوز خطه .

فرقى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية ، فقال : يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمننا ! خرجت صخرة بيضاء من الخندق مروة ، فكسرت حديدنا ، وشقت علينا حتى ما نحيك فيها قليلاً ولا كثيراً ، فمرنا فيها بأمرك ، فانا لا نحب ان نجاوز خطك . فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان في الخندق ، ورقبنا نحن التسعة على شقة الخندق ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

المعول من سلمان ، ف ضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقاة أضاء ما بين لابتيها (١١٨) - يعني لابتي المدينة - حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح ، وكبر المسلمون . ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية ، فصدعها وبرق منها برقاة أضاء ما بين لابتيها ، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتسح وكبر المسلمون . ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة فكسرها ، وبرق منها برقاة أضاء ما بين لابتيها ، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم أخذ بيد سلمان فرقى ، فقال سلمان : بابي انت وامي يا رسول الله ! لقد رأيت شيئا ما رأيته قط ! فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم ، فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، بأبينا انت وأمنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كاللوج ، فرأيناك تكبر فنكبر ولا نرى شيئا غير ذلك . قال : صدقتم ، ف ضربت ضربتي الاولى ، فبرق اندي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها انياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية ، فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثالثة ، فبرق منها الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها انياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ! فاستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد لله موعد صادق بار ، وعدنا النصر بعد الحصر . فطلعت الاحزاب ، فقال المؤمنون : « هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا إيمانا وتسليما » (١١٩) وقال المنافقون : ألا تعجبون ! يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل ! يخبركم انه يبصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وانها تفتح لكم ، وانتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا ! وانزل القرآن : « واذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا » (١٢٠) (١٢١)

ونحن حينما نستعرض معظم المؤرخين نجدهم ممن عنوا بالحديث وبرزوا فيه ، وكان الاساس الذي دفعهم الى الاهتمام بالتاريخ ، ويكفي ان نتذكر الخطيب البغدادي « ت ٤٦٣ هـ » وأبنا سعد السمعاني « ت ٥٦٢ هـ » ، وعبد الرحمن بن الجوزي « ت ٥٩٧ هـ » وابن الدبيشي الواسطي « ت ٦٣٧ هـ » ومحب الدين ابن النجار « ت ٦٤٣ هـ » وزكي الدين عبد العظيم المنذري الشافعي « ت ٦٥٦ هـ » وابن الساعي البغدادي مؤرخ العراق العظيم « ت ٦٧٤ هـ » وابن كثير الدمشقي « ت ٧٧٤ هـ » ومؤرخ

العراق ابن الفوطي البغدادي « ت ٧٢٣ هـ » وشمس الدين الذهبي « ت ٧٤٨ هـ » وابن حجر العسقلاني « ت ٨٥٢ هـ » وجلال الدين السيوطي « ت ٩١١ هـ » ... الخ .

(١) انظر مثلا : جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٧ ص ٢٦ فابعده ، الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٣-١٨ . ونجد فيه فكرة واضحة عن الموضوع ، روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٩-٣٨ ، حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب .

(٢) تناول الاستاذ سيدرسكي ، عضو الجمعية الاسيوية ، موضوع القصص الوارد في القرآن والاحاديث النبوية بالبحث في أحد كتبه ، وحاول ان يرجع اصولها ، وقدم بذلك دراسة مقارنة ، فتكلم عن آدم ، وابراهيم ، ويوسف ، وموسى وداود وسليمان وغيرهم ، انظر :

D. Sidersky : Les Origines des L'legendes Musulmanes Dans le coran et dans les vies des Prophetes. Paris 1933.

(*) البخاري : التاريخ ج ١ قسم ١ ص ٢١٦-٢١٧ : ابن القيسراني : الجمع ج ٢ ص ٤٤٨-٤٤٩ : الذهبي : اهل المائة فصاعدا : الورقة ٤ (نسخة دار الكتب الظاهرية) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٢٠-٤٢٢ .

(٣) انظر : ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ٣٩٥ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١٥ ص ١٠٦ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ج ٦ ص ١٧٩ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ١٠٨ .

(٥) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٢٤ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ٦٠٦ .

(٧) استغرق ذلك الجزئين الاول والثاني وقسم من الجزء الثالث من تاريخه ، ومع ذلك فهو مختصر لكثير من الاخبار .

(٨) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ٦ .

(٩) أثارت مشكلة أخذ قول الصحابي وفعله في التشريع مناقشات طويلة في كتب الفقه وأصوله ، فذهب البعض الى القول بحجيته ومن هؤلاء ابن القيم في كتابه اعلام الموقعين ج ٣ ص ٣٧٧ - ٤٠٥ ، وأورد أقوالا لابي حنيفة والشافعي تؤيد رأيه ، قال الشافعي : « ما كان الكتاب والسنة موجودين فلا عذر في العدول عنهما ، فان لم يكونا ، صرنا الى أقاويل الصحابة أو واحد منهم ، وقول الائمة ابي بكر وعمر وعثمان احب اليانا اذا صرنا الى التقليد ، لان قول الامام مشهور يلزم الناس به » . وأنظر أيضا الآمدي : الاحكام ج ٣ ص ١٠٣ . وعلي حسب الله : أصول التشريع الاسلامي . ط ٣ القاهرة ١٩٦٤ ص ٦١ - ٦٣ .

(١٠) أنظر كتاب الدكتور صالح العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري بغداد ١٩٥٣ . وكذلك مقالته عن « استيطان العرب في خراسان » المنشورة في مجلة كلية الآداب والعلوم ، العدد الثاني .

(١١) انظر ابن النديم : الفهرست ص ١٣٩ ، ١٥٩ ، ١٦١ « المناظرات بين القبائل وأشراف العشائر » لابي الحسن النسابة ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٨٤ « مفاخرة القبائل في النسب » لابي الوزير عمر بن المطرف .

(١٢) الفهرست ص ١٣٦ .

(١٣) نفس المصدر ص ١٥٠ .

(١٤) نفس المصدر ص ١٣٧ .

- (١٥) انظر مثلاً الفهرست ص ١١٦ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢١٠ . وانظر الرسالة التي تقدم بها الصديق الاستاذ عبدالله السلوم عن الشعوبية لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة بغداد ١٩٦٥ . ومظاهر الشعوبية في الادب العربي لنبيه حجاب . والفصل الذي كتبه الدكتور طه الحاجري في كتابه عن الجاحظ .
- (١٦) اعتمدت على النسخة المصورة في المكتبة المركزية في جامعة بغداد . ومنه نسخة مصورة عند الاستاذ حسام السامرائي صورها من استانبول .
- (١٧) منه نسخة ممتازة في مكتبة الاوقاف ببغداد .
- (١٨) السعتماني : روضة القضاة وطريق النجاة مخطوطة دار كتب مدينة مونيخ . رقم Cod. arab 260 .
- (١٩) روضة القضاة . الورقة ١٧ ب فما بعد .
- (٢٠) ابن الاثير : الكامل ج ١ ص ٤ - ٥ .
- (٢١) المصدر السابق ج ١ ص ٥ .
- (*) لمعلومات اوسع راجع مقالتي : مظاهر تأثير علم الحديث في علم التاريخ عند المسلمين . المنشورة في مجلة الاقلام البغدادية . العدد الخامس من السنة الاولى .
- (٢٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٣٤ .
- (٢٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٣٦ ، الطوسي : الفهرست ص ١٢٩ - ١٣٠ ، ابن شاکر الكتبي : فوات الوفيات ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤١ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٦٠ ، ابن حجر : لسان الميزان ج ٤ ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .
- (٢٤) انظر دائرة المعارف الاسلامية مادة « سيف بن عمر » .
- (٢٥) ابن النديم : الفهرست ص ١٣٧ ، الطوسي : الفهرست ص ١٧١ - ١٧٢ ، النجاشي : كتاب الرجال ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
- (٢٦) انظر مقالة خالد العسلي عن المدائني المنشورة في مجلة كلية الآداب العدد الخامس .
- (٢٧) للتوسع في دراسة المغازي انظر كتاب يوسف هورفتس : المغازي الاولى ومؤلفوها . ترجمة الدكتور حسين نصار ، القاهرة ١٩٤٩ ، الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (بيروت ١٩٦٠) خاصة ص ٦١ فما بعد . كما كتب الدكتور الدوري بحثاً عن ابن اسحاق قدمه لمجمع اللغة العربية المتعقد ببغداد في تشرين الثاني ١٩٦٥ ، حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب . ومادة « سيرة » في دائرة المعارف الاسلامية . وهناك بحوث كثيرة أخرى .
- (٢٨) لمعلومات اوسع انظر :
- C. Snouck Hurgronic: Selected works of C. Snouck Hurgronic ed. by G.H. Bousquet and J. Schacht, Leiden 1959 pp. 48 ff.
- (٢٩) وصلتنا بعض هذه الرسائل مدونة في سيرة ابن اسحاق ، ومغازي الواقدي ، وتاريخ الطبري . انظر تفاصيل ذلك في بحث الدكتور نصار : نشأة التدوين التاريخي ص ٣١ فما بعد ، والدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٦٢ فما بعد ، ص ١٢٧ - ١٥١ .
- (٣٠) الاصفهاني : الاغانى ج ١٩ ص ٦٩ (ساسي) .
- (٣١) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص ٣٠ .
- (٣٢) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١١٢ - ١١٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٩٧ .
- (٣٣) اليعقوبي : التاريخ ج ١ ص ٣ .
- (٣٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٠٦ ، حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي ص ٢٩ - ٣١ .
- (٣٥) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٥٦ .

- (٣٦) نفس المصدر ج ٥ ص ١١٣ .
- (٣٧) البخاري : التاريخ الكبير ج ١ ص ٤٥٠ - ٤٥١ .
- (٣٨) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٩٧ .
- (٣٩) حاجي خليفة : كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٤٧ .
- (٤٠) كان هشام بن عروة بن الزبير من أئمة الحديث . حدث عن أبيه ، وعمه عبدالله ابن الزبير ، وأكثر أسرة آل الزبير ، وجماعة كثيرة أخرى . ثم زار الكوفة ، وحدث هناك بالكثير عن أبيه ، ودخل بغداد واقفا على المنصور حيث توفي بها سنة ١٤٦ هـ .
- ويبدو من الروايات الكثيرة التي أوردها الطبري ، وهي في ٣٤ موضعا (انظر : فهرس تاريخ الطبري ص ٦١٢) ، والاحاديث التي أوردها له أصحاب الصحاح ، وهي قرابة الاربعمئة حديث ، انه قلما كان يروي عن غير والده ، ولذلك يبدو انه كان ينقل من كتب أبيه عروة ، وعلى هذا فمن المحتمل انه وضع كتابا على نسق كتب والده ، اعتمد فيها على كتب أبيه وأضاف من عنده معلومات جديدة .
- انظر : نسب قريش ص ٢٤٨ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٧ ، اليافعي : مرآة الجنان ج ١ ص ٣٠٢ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٩٤ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٥٥ ، جواد علي موارد تاريخ الطبري في مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ مجلد ٣ ص ٤٧ - ٤٨ .
- (٤١) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٣٣ .
- (٤٢) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٣٤ ، البخاري : التاريخ الكبير ج ٤ ص ٣١ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٥٨ .
- (٤٣) البخاري : التاريخ الكبير ج ٤ ص ٣٢ .
- (٤٤) نفس المصدر والجزء والصفحة .
- (٤٥) ابن سعد : الطبقات ج ٥ ص ١٣٤ .
- (٤٦) نفس المصدر ج ٥ ص ١٣٥ . وكتب مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هـ رسالة في رجال عروة بن الزبير ، منه نسخة خطية بالكتابة الظاهرية بدمشق . الرقم : مجموع ٥٥ من الورقة ١٣٩ الى ١٤٧ .
- (٤٧) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ص ٧٨ - ١٠٢ .
- (٤٨) نفس المصدر ص ٢٣ .
- (٤٩) دائرة المعارف الاسلامية مادة « سيرة » .
- (٥٠) ابن أبي حاتم الرازي : الجرح والتعديل ج ٤ قسم ١ ص ١٥٥ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٤٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٦٠ ، حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي ص ٥٣ - ٥٦ .
- (٥١) ابو نعيم : حلية الاولياء ج ٣ ص ٣٦١ (القاهرة ١٩٣٣) .
- (٥٢) ابن سعد : الطبقات م ٧ قسم ٢ ص ٦٧ ، البخاري : التاريخ ج ١ قسم ١ ص ٤٠ ، ابن النديم : الفهرست ص ٩٤ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ياقوت : ارشاد ج ٦ ص ٣٩٩ - ٤٠١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٨٣ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٣ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٨ .
- (٥٣) من القدماء المصادر التي ذكرناها ، اضافة الى قضية الشعر الموضوع التي تناولها ابن سلام الجهمي في طبقات الشعراء ، كما اورد ياقوت اقوال طائفة من النقاد عن شعره ، وتجد ذلك معروضا في مقال الدكتور وليد عرفات « النافدون الاولون لشعر السيرة » الذي ترجمته ونشرته في مجلة الاقلام البغدادية العدد الثالث السنة الاولى . ومن المحدثين تناول ابن اسحاق عدد هائل من الباحثين نذكر منهم كايثاني ، وميور ، ولامنس ، وبيكر ، ونولدكة وليفي دي لافيدا ، وادورد سخار ، وجب ، وبلاشير ، وفستنفلد ، وبروكلمان ، ومرغليوث

وفيك ، وهي أوسع دراسة باللغة الألمانية ، وهورفتس ، ومونتغمري وات وغيرهم ومن العرب : أحمد أمين في ضحى الاسلام ، وحسين نصار في نشأة التدوين التاريخي ، وجواد علي في مواد تاريخ الطبري ، والدوري في نشأة علم التاريخ عند العرب ، وأخيراً مقاله الذي قدمه لمجمع اللغة العربية المنعقد ببغداد ١٩٦٥ بعنوان : « دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن اسحاق » .

- (٥٤) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٤ .
 (٥٥) هورفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها . ترجمة الدكتور حسين نصار ص ٨٢ .
 (٥٦) الدوري : دراسة في سيرة النبي (ص) ومؤلفها ابن اسحاق . بغداد ١٩٦٥ ص ١١ - ١٤ .
 (٥٧) مجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد الخامس ج ١ ص ١٤ - ١٥ . وكنت قد اشرت الى هذا الخبر في تعليقي على مقال الدكتور وليد عرفات « الناقدون الاولون لشعر السيرة » الذي ترجمته ونشرته في مجلة الاقلام العدد الثالث من السنة الاولى (ص ١٣٩ هامش رقم ١١) وبينت أهمية هذه الاجزاء لو قورنت مع النسخة الحالية من ابن هشام .
 (٥٨) الدوري : دراسة في سيرة النبي ص ٢١ - ٢٤ .
 (٥٩) الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ ص ١٦ ، السيوطي : ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٥٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ١٠٨ .
 (٦٠) عيون الاثر ص ١٠ - ١٣ (القاهرة ١٣٥٦ هـ) .
 (٦١) نفس المصدر ص ١٣ - ٢١ .
 (٦٢) البخاري : التاريخ الكبير ج ١ قسم ١ ص ٤٠ .
 (٦٣) الخطيب : تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٢٦ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٦٨٧ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٢ .
 (٦٤) عيون الاثر ص ٨ - ٩ .
 (٦٥) ياقوت : ارشاد ج ٦ ص ٤٠١ .
 (٦٦) أنظر : ابن قتيبة : المعارف ص ١٧٦ ، ابن النديم : الفهرست ص ١٤٤ - ١٤٥ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣ - ٢١ ، السمعاني : الانساب ص ٥٧٧ ب ، ياقوت : ارشاد ج ٥ ص ٥٥ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٠٦ ، ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ١ ص ١٧ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١٧ ، ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١١٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٦٣ - ٣٦٨ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ج ١ ص ٧٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨ .
 (٦٧) أنظر : الناقدون الاولون لشعر السيرة . ترجمتي ص ١٣١ .
 (٦٨) ياقوت : ارشاد ج ٦ ص ٤٠١ . وقد وجدت قطعة صغيرة من تاريخه هذا مكتوبة على البردي أنظر :

N. Abbott: Studies in Arabic Literary Papyri Vol. I pp. 80-100 (Chicago 1955).

- (٦٩) أنظر عن كتبه مثلاً : ابن النديم : الفهرست ص ١٤٤ - ١٤٥ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٧٦ ، الخطيب : تاريخ بغداد ج ٧ ص ٣ - ٢١ ، ياقوت : ارشاد ج ٥ ص ٥٥ الخ . . وأنظر أعلاه في مظان ترجمته .
 (٧٠) ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق ج ٣ ص ٣٩ - ٤٠ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٣٣ .
 (٧١) راجع فهرست تاريخ الطبري ص ٣٨ .
 (٧٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٨ ، وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٥١ - ١٥٥ ، الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء

- ج ٢ ص ٣٦٠ ، طبقات المدلسين ص ٢٠ ، البغدادي : هدية العارفين ج ٢ ص ٥٠٠ .
- (٧٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٥١ - ١٥٢ .
- (٧٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٥٢ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٢٧٥ .
- (٧٥) فهرس تاريخ الطبري ص ٦٢٩ .
- (٧٦) لقب « بندار » لجمعة حديث مالك . وبندار ، مفرد « بندرة » وهم التجار الذين يخزنون البضائع للغلاء ، وقال السمعاني : البندار : يضم الباء الموحدة وسكون النون وفتح الدال المهملة وفي آخره الراء . هذه النسبة الى من يكون مكثرا من شيء (الانساب ، الورقة ١٩٢) .
- (٧٧) ابن ابي حاتم : الجرح والتعديل ج ٣ قسم ٢ ص ٢١٤ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠١ - ١١٠ ، ابن القيسراني : المجموع ج ٢ ص ٤٣٥ ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٧ ، ج ٢ ص ١٢٩ ، ج ٣ ص ١٠ ، الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٠ ، ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٧٠ .
- (٧٨) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠٢ .
- (٧٩) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠١ .
- (٨٠) نفس المصدر ج ٢ ص ١٠٢ .
- (٨١) نفس المصدر والجزء والنصفحة .
- (٨٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٧٤ .
- (٨٣) الخطيب : تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠٤ .
- (٨٤) الطبري : تاريخ ج ١ ص ١١ ، ٣٤ ، ٥١ (ط . ابو الفضل ابراهيم) .
- (٨٥) نفس المصدر ج ١ ص ٦١ - ٦٢ .
- (٨٦) نفس المصدر ج ١ ص ٧٦ .
- (٨٧) نفس المصدر ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ .
- (٨٨) نفس المصدر ج ١ ص ١٢٧ .
- (٨٩) نفس المصدر ج ١ ص ١٤١ - ١٤٢ .
- (٩٠) نفس المصدر ج ١ ص ١٤٨ .
- (٩١) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٧ .
- (٩٢) نفس المصدر ج ١ ص ١٧٨ .
- (٩٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٩٢ .
- (٩٤) نفس المصدر ج ١ ص ١٩٢ .
- (٩٥) نفس المصدر ج ١ ص ٢٦١ - ٢٢٨ .
- (٩٦) نفس المصدر ج ١ ص ٢٦٧ ، ٢٧٧ .
- (٩٧) نفس المصدر ج ١ ص ٢٦٦ ، ٤٣١ .
- (٩٨) نفس المصدر ج ١ ص ٤٤٣ .
- (٩٩) نفس المصدر ج ٢ ص ٥ .
- (١٠٠) نفس المصدر ج ٢ ص ٢١ .
- (١٠١) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٣٥ .
- (١٠٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٣٢ .
- (١٠٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٣٩٩ .
- (١٠٤) نفس المصدر ج ٢ ص ٥١٥ .
- (١٠٥) نفس المصدر ج ٢ ص ٥٥٧ .
- (١٠٦) نفس المصدر ج ٢ ص ٥٦٧ - ٥٧٠ .

- (١٠٧) نفس المصدر ج ٣ ص ١١ - ١٢ .
- (١٠٨) نفس المصدر ج ٣ ص ٥٩١ - ٥٩٢ .
- (١٠٩) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
- (١١٠) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٠٥ .
- (١١١) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٦٦ .
- (١١٢) نفس المصدر ج ٤ ص ٢٦٦ .
- (١١٣) انظر الطبري : التاريخ الحلقة ٣ ص ٢٣٧٣ ، ٢٣٧٥ ، ٢٣٧٦ ، ٢٣٨٥ .
- (١١٤) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٦٨ ، ج ٤ ص ٢٧٥ ، ج ٩ ص ٢٩ ، ١٣٢ ، ج ١٠ ص ٢٠٢ ، ٢١٤ ، ج ١٣ ص ١٩٠ ، ٢٤٠ ، ج ١٥ ص ٣٨ ، ١٥٠ ، ج ١٧ ص ١٠٦ (بولاق) ، ج ٢١ ص ٨٥ - ٨٦ (بولاق) .
- (١٠٥) انظر مثلاً : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٣٦ .
- (١١٦) الاحجيم : الاطم وهو الحصن ، والشيخان : موضع بالمدينة ، كان فيه معسكر الرسول (ص) ليلة خرج لقتال المشركين بأحد .
- (١١٧) المداد : موضع بالمدينة مكان الخندق .
- (١١٨) اللابة : الحرة ، والمدينة تقع بين حرتين أي لايتين .
- (١١٩) الاحزاب ٢٢ .
- (١٢٠) الاحزاب ١٢ .
- (١٢١) الطبري : تاريخ ج ٢ ص ٥٦٧ - ٥٧٠ وانظر : الطبري تفسير ج ٢١ ص ٨٥ - ٨٦ (بولاق) .



مركز بحوث ودراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية

